

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،

وبعد :

فإن من أشهر الفرق ، فرقة الصوفية ، ومن هنا فإنه يحسن دراسة فكر هذه الطائفة ومعتقداتها على ضوء الكتاب والسنة ، ومن هنا كان هذا الحديث عن (آراء الصوفية في أركان الإيمان) ، وقبل أن ندخل في هذا الموضوع أحب أن أتحدث عن مسألتين هامتين أولاهما : هل الصوفية لها وجود اليوم؟ أو أنها قد اندثرت ولم يعد لها وجود؟ والمسألة الثانية : ما منشأ التصوف؟ وما هي أبرز معالم منهج المتصوفة؟

والجواب أن هناك فرقا عديدة اليوم تنتسب للتصوف وتدعو إليه ، مثل فرقة الشاذلية في مصر وسوريا وليبيا والسودان والمغرب ، وفرقة التيجانية في المغرب والسنغال ونيجيريا والسودان ، بل إن بعض الباحثين يرى أن عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها يزيد عن عشرة ملايين نسمة ، ومن فرق الصوفية الطريقة الختمية في السودان ، وفرقة البريلوية في الهند وباكستان وبنجلاديش وسريلانكا ، ومن تلك الفرق النقشبندية والمولوية والقادرية والرفاعية والكتانية ، والأحمدية الإدريسية ، وهناك جماعات أخرى تأثرت بالصوفية وأخذت بعض معتقداتها مثل الديوبندية في شبه القارة الهندية ، والنورسية في

تركيا، وغير ذلك من الطوائف والفرق، فظهر بذلك أن دراسة هذا الموضوع ليس إحياء لما اندثر بل هو دراسة لواقعنا المعاصر.

وأول مبدأ الصوفية كان قائماً على الزهد والتفرغ للعبادة وترك مظاهر الترف التي انتشرت في المجتمع الإسلامي، ولبس الصوف الخشن دلالة على ذلك، مما جعلهم يحرصون على العمل والعبادة ويبتعدون عن العلم مما أنتج سهولة دخول المعتقدات المختلفة عندهم بسبب عدم وجود علم يحميهم من ذلك.

وبالنسبة لتاريخ التصوف فقد وجدت مبادئه في عصر الصحابة، فأنكر الصحابة رضوان الله عليهم هذه المظاهر، فقد أنكر عمر على من يتفرغ للعبادة ويترك التكسب لنفسه ولعِياله، وأنكر ابن مسعود على من يجتمعون في المسجد فيذكرون الله ذكراً جماعياً في الكوفة، وأنكر على من اتخذ دوراً للعبادة في بعض الجبال، فبدأت مظاهر التصوف ببدع صغيرة ثم مع مرور الزمن تطور ذلك فحدثت لديهم أمور عظام مخالفة للشريعة، والصوفية طوائف مختلفة، وفرق متعددة، يقع بينهم الاختلاف والشقاق، وبينهم منافسات، ويتحدث بعضهم بالقدح في بعضهم الآخر، وليسوا على مستوى واحد في التصوف والابتداع، وعندما أتكلم عن شيء من آراء الصوفية في أبواب الإيمان ليس معناه أن هذا الرأي موجود لدى جميعهم، وكذلك فإنه في عصرنا الحاضر وبعد انتشار وسائل الاتصال والمواصلات وجدت أن الكثير من المتصوفة بدأوا يتخلون عن بعض الأفكار الصوفية السابقة، لما رأوا الأدلة

صريحة في رد بعض معتقداتهم وبدعهم، وليس مرادي بهذا الحديث القدح  
المجرد في الأشخاص، وإنما أقصد التقرب لله عز وجل بمقارنة بعض اعتقادات  
المتصوفة بالقرآن والسنة رغبة في النصيحة وأملاً في النجاة لي ولهم لقاء  
رب العالمين، وسأقسم حديثي عن هذا الموضوع بحسب أركان الإيمان، كما  
ورد في الصحيح بيان هذه الأركان لما سئل النبي ﷺ عن الإيمان قال: (أن  
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، أخرجه  
مسلم.



## الركن الأول: الإيمان بالله

دلت النصوص الشرعية على وجوب الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦] الآية، وعند استقراء النصوص الشرعية يمكن تقسيم ما يتعلق منها بالإيمان بالله إلى ثلاثة أقسام: الإيمان بأفعال الله تعالى، فهو الرازق الخالق المدبر، وهذا توحيد الربوبية. والقسم الثاني: الإيمان بما يجب علينا في حق الله تعالى من إفراده بالعبادة، وهذا توحيد الألوهية والعبادة، والقسم الثالث: الإيمان بأسماء الله وصفاته، فنصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فقلوه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية وقلوه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هو توحيد الألوهية، وقلوه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات.

### أولاً: آراء الصوفية في توحيد الربوبية:

تواترت النصوص الشرعية بأن الله فعال لما يريد، لا راد لما قضى ولا معقب لحكمه، ولا يقع في ملكه إلا ما قدره وخلقته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ﴾ [يونس: ٣١]، ومن

العجب أن تدعي طائفة من الصوفية أن الأولياء يتصرفون في الكون، فينفعون من شاءوا ويضرون من أرادوا، حتى زعموا أن الأرزاق بأيديهم، وأن هبة الأولاد من طريقهم، فجعلوا لأوليائهم بعض ما يختص الله به من الأفعال، وجعلوا أولياءهم أنداداً لله يساوونه في الخلق والإيجاد والرزق، ولا شك أن هذا اعتقاد باطل، ومن هنا خاطب رب العالمين سبحانه نبيه محمداً ﷺ مع رفعة منزلته وعلو مكانته فقال له: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالله هو الخالق وحده يرزق من يشاء ويمنع من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمْلِكُ تُوْفِي الْمَلَائِكَةِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلَائِكَةَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّةِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيَّةَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] بمعنى أنه لا يوجد أحد يفعل ذلك إلا رب العالمين، فالتصرف في الكون، والإحياء والإماتة، وجلب الأرزاق راجعة إلى الله تعالى وحده، أما الأولياء والأنبياء فإنهم مهما بلغت منزلتهم لا يتصرفون في الكون ولا يفعلون أي فعل إلا بإذن الله وأمره، فالأرزاق بيد الله سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعَبَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ

﴿الْعنكبوت: ١٧﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]، وإنزال الأمطار وإنبات النبات هذا من رب العالمين وحده، قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقال سبحانه ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، ومن هنا نعلم خطأ كثير من الصوفية في وصفهم أحد الأولياء بأنه القطب الذي تدور عليه رحي الدنيا، أو الغوث الذي يغيث العباد؛ لأن هذا تجنٍ على مقام الربوبية ويناقض العديد من نصوص القرآن والسنة التي تبين اختصاص الله تعالى بتدبير الكون والتصرف فيه، وقد سبق إيراد نماذج منها.

ومن صور مناقضة بعض الصوفية لتوحيد الربوبية زعمه أن بعض الأولياء يعلم الغيب، فأين هؤلاء من قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فعلم الغيب مما اختص به رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال جل وعلا:

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠] وقال ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سبحانه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، بل زعموا أنهم يتصرفون في المقادير ويتمكنون من تغيير بعض ما في اللوح المحفوظ، فما أعظم مصادمة هذه الدعوة الكاذبة لقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)، وفي السنن بإسناد جيد: (أن أول ما خلق الله تعالى القلم - قال له: اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة).

فالمقصود أن النفع والضرر بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وروى الترمذي بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

ومن أعظم أخطاء الصوفية في باب الربوبية: اعتقاد وحدة الوجود؛ بالاعتقاد بأنه ليس هناك موجود إلا الله، فلا يوجد غير الله في الكون، وهذه الظواهر التي



نشاهدها هي صور لتجليات الله، فجميع الموجودات هي رب العالمين، ولم أكن أتوقع أن يقول أحد بمثل هذه المقالة الكفرية التي تجعل الكفار والقاذورات صوراً لله تعالى؛ لأن الله عندهم هو الوجود المطلق، أقول: لم أكن أتصور أن يقول بذلك في زمننا عاقل يعظم الشرائع حتى وجدته منصوباً في كتب بعض المتصوفة المعاصرين، وقد جرى بيني وبين بعضهم نقاش في ذلك، ومجرد تصور هذا القول يكفي في معرفة بطلانه ويلزم عليه صدق فرعون لما قال: (أنا ربكم الأعلى)، وعدم تكفير من قال بأن الله هو المسيح ابن مريم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ رَبَّ اللَّهِ تَالِثُ ثَلَاثَةٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، فكيف بمن قال هو الوجود كله.

### ثانياً: آراء الصوفية في توحيد الألوهية:

يراد بتوحيد الألوهية صرف العبادة لله وحده وعدم فعل أي عبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَِّيَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام يقولون لأقوامهم: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ [الأحقاف: ٢١].

ومن آراء الصوفية في باب توحيد الألوهية، صرف عبادة الدعاء لغير الله، فنجد أحدهم يقول: يا رسول الله أغثنني، يا مهدي أدركني، يا بدوي افض حاجتي، وهكذا، ودعاء غير الله من المحرمات، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، والدليل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، فجعل الدعاء من الدين، ويدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٩ - ٥٠]، فانظر كيف عبر بالعبادة عن الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وقد حكم الله عز وجل في كتابه بأن من دعا غير الله فإنه كافر لا يفلح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقد يقول قائل بأن دعاءهم مجرب في قضاء الحوائج وتفريج الكربات، وكم من الحكايات التي تحكى في ذلك. والجواب عن هذا بأن ذلك على فرض حصوله ليس بسبب الدعاء وإنما وافق قضاء الله تعالى، فإن الله قد حكم بأن من دعا غير الله فإن المدعو لا يستجيب له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقال ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم<sup>١</sup> ويوم القيامة يكفرون بشرككم<sup>٢</sup> [فاطر: ١٣ - ١٤]، والمسلم يتوجه بدعائه لله عز وجل مباشرة ولا يحتاج في ذلك إلى واسطة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ومما يدل على أن دعاء غير الله من الشرك والكفر قوله تعالى عن الملائكة: ﴿قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكبُوا

فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وفي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)، والنصوص في ذلك كثيرة متعددة.

ومن ذلك أيضاً صرف عبادة الذبح لغير الله من الأولياء ونحوهم فإنه شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٣] لا شريك له ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (لعن الله من ذبح لغير الله).

ومن ذلك صرف عبادة النذر لغير الله أو التوكل أو الرجاء أو الخوف أو الاستغاثة، فإن هذه الأمور لا يصح أن يتوجه بها على جهة العبادة لغير الله تعالى، وكذلك لا يصح التوجه بعبادة السجود للأولياء أو الطواف لهم ولا لأحد غير الله، فإن العبادة حق خالص لله كما تقدم وصرفها لغير الله شرك.

ومن آراء بعض الصوفية في توحيد الألوهية طاعة الشيخ طاعة عمياء، ولو بتحليل الحرام، أو تحريم الحلال، وهذا مخالف للنصوص الشرعية الواردة بالأمر باتباع الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَحَرِّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ ﴿الأنعام: ١٤٠﴾، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وهذا أوصل بعضهم إلى التقاعس عن طاعة الله عز وجل ؛ بل قد قال بعضهم إن الخاصة لا يحتاجون للعبادة، بل تسقط عنهم التكاليف لعظم منزلتهم عند الله ؛ ولوصولهم لرتبة اليقين التي لا يحتاجون معها للعبادة، مع أن أفضل الأمة وهو نبيها ﷺ لم تسقط عنه التكاليف فكيف بمن دونه ؛ بل كان يتحامل على نفسه في طاعة الله ويصلي بالليل حتى تتورم قدماه، ولما نوقش في ذلك قال (أفلا أكون عبداً شكوراً).

